يورغوس سكورتيس

العواطلى

(ميناه امرأة من عامة الشعب يتـراوح سنها بين الخامسة والثلاثين والأربعين ، يبدو عليـها التعب والمسكنة ، تصـلح من زينتها أمـام مرآة ، وترتدى ثوبا من ثياب البيت . وعندما نقول تصلح زينتها يكون هـذا قولا فيه مبالغة ، مادامت بحالتها التى هى عليها يتعـذر انصلاح زينتها . بين الفينة والفينة تدندن بمقطع لا يتغير من أغنيـة شعبية شائعة .. يفتـح الباب فيئز مقبضـه القديم لتهالكه - ويدخل فاسيلى .. وهو رجل من ذات سنها متعكر المزاج .. تجفل ميناه)

ميناه : تبا لك، يافاسيلى ! تبا ! اخفتنى ! (تكف عن التزين)

فاسيلى : (يسخر منها بايماءة) آه ، يامسكينة ! وهل تخافين أنت ؟ ! (يخلع سترته)

ميناه : ما الأخبار ؟ (تشرع فى ترتيب هندامها)

فاسيلى : لا شئ .

ميناه : (حزينة) لا شئ من جديد ، هذه المرة أيضا ؟

فاسيلى : وماذا كنـت تتوقعـين ؟ أن يحدث شئ جسـيم؟ انت نائمـة ؟ صح النوم ، أذن أم أنك كنت تتصـورين أن المجتمع يتغير هكذا ، فجأة ، بين يوم وليلة ؟

ميناه : وما أدرانى أنـا ؟ النحس كله يحط علينا ؟

فاسيلى : النحس يحط عـلى أصـحاب الـبنوك والمـال أيضـا ، ولكن هؤلاء يفـقـدون رصـيـدا ، وتبـقى لهم الوف الأرصدة الأخرى . اتفهمين ؟

ميناه : وصلنى خطاب من أبى اليوم أيضـا . أنه لن يبيع قطعة الأرض . هذا ما يقوله ، لأن السعر المعروض عليه قليل .

فاسيلى : فليذهب هو وأرضـه إلى الشيطان ! أرضـه ، أرضه .

نفخ أمعاءنا بسيرة أرضه هذه . هاهى خمس سنوات مضت الآن ، وتمضى معها الأرض وحكايتها ! لايكف عن أن يردد لى قوله « يازوج ابنتى ، أجل ، يا زوج ابنتى، مهلا ، سأبيع الأرض ، وأصلح من حالك » . مللت هذه الأقوال من هذا العجوز القذر ، وسئمت سماعها ! اكتبى له ألا يطأ قدمه بعد الآن هنا .

مــيـنـاه : ومـاذا تريده أن يفعل ؟ ! يبيع أرضه بثمن بخس ؟ بسعر التراب ؟

فـاسـيـلى : فليهنأ بها يا امرأة ، فلينقعها في الماء ، ويشربه . شئ مقرف . خيبة الله عليه . . .

مَـيـنـاه : يقول لو شئت فلنذهب إلى الجزيرة ، وسيساعدك على فتح محل الخضار ذاك الذى وعدك به . .

فـاسـيـلى : وأقول أنا كفاه بعثا للمرض فى أوصالى . . أهذه هى المكافأة التى أحصل عليها لقاء زواجى من ابنته ؟ ! محل خضرى ! ؟ محل خضرى ؟ ! ياله من شئ رائع ، رائع حقا ! إنها أمور سخف وهراء ، حقا . . يالصفاقة أبيك ، يا امرأة . يريدنا أن نترك العاصمة لنذهب إلى الجزيرة الجدباء نبيع خضروات . . . ويل له لو وطأت قدمه أثينا مرة أخرى . سوف يكون لى معه كلام أخر !

مــيـنـاه : هل الأمر بهذه الصعوبة أن يوجد من أجلك أنت أيضا عمل . . . وأنت على هذا القدر من المعرفة ! ألم تقابل أولئك الناس اليوم ؟

فاسيلى : حتى لو كنت قابلتهم ، ماذا كان سيحدث ؟ نفرض أننى قابلتهم ماذا كان سيتغير ؟ (يخرج سيجارة ويشعلها) هذا الروث ، ماذا سيكون أمره . لا أدرى . إلى أين تمضى هذه اللعبة ، لا أستطيع أن أفهم أننا حتى ورقة يناصيب لا نربحها . ليس لنا حظ فى ورقة يناصيب واحدة . واحدة فقط . ما رأيك ؟

ميناه : وهل اشتريت أنت قط واحدة ؟

فاسيلى : قلت لك أشترِى ورقة ! كم من مرة قلت لك ذلك ؟

ميناه : أمن المعقول أن تكون الرابحة من نصيبنا نحن ؟

فاسيلى : النحس الذى يلازمك . لايتركنا نكسب شيئاً ، أو نفلح فى شئ . . .

ميناه : عدت تلقى اللوم على من جديد ؟ حتى اليانصيب بحاجة إلى نقود ، يا فاسيلى إنه مكلف . . .

فاسيلى : يا نصيب ، لا ، جلا جلا ، لا ، سباق خيل ، لا . إذن عافاك الله وإبقاك . هل عندك ما يؤكل ؟

ميناه : لم أطبخ بعد .

فاسيلى : وهل الوقت مبكر ، يعنى ؟

ميناه : أيه ، يا فاسيلى ، اعتقدت أنك ستتأخر !

فاسيلى : أيه ، يا ميناه ، هل تلعبين بى ؟ هل اعتقدت أننى أضربت عن الأكل ، وأننى لن آكل بعد اليوم ؟ أرى ثيابا وأشم عطورا هنا ، إلى أين العزم بالسلامة ؟

ميناه : أبدا ، باقية فى البيت .

فاسيلى : هل نحن بانتظار أحد ؟

مــــــيـنـاه : لا أعرف . ربما أتى أخوك . . .

فـــاســيـلى : إنى أسأل عنا ، إذا كنا ننتظر أحـدا ، ضيفا أقـصد ، هل تعتبرين أخى ضيفا ؟ أقول أحدا . . .

مــــــيـنـاه : كلا . . .

فـــاســيـلى : تمام ، هل جاء أحد ، هل سمعت شيئاً ؟

مــــــيـنـاه : لا شئ . .

فـــاســيـلى : ولا رأيت شيئـا ، هـيـه ؟ حـتى اللقـمة التى تأكلينها حرام . فيك . .

مــــــيـنـاه : هذا لو كنت قـد خرجت ! . . منذ اليـوم الذى أغلقنا فيـه محل الكبـاب لم أغادر البيت ، فـكيف أسمع أو اقابل أو أرى أحدا . . .

فـــاســيـلى : هيه ، وأين تريدين الذهاب ، يا امرأة هيا ، تفضلى ، اخرجى ! أين ستذهبين ؟

مــــــيـنـاه : هيه ، حسنا ، لم أقل شيئا ! لم أعترض !

فـــاســيـلى : بل قلت ! واعترضت ! دائبة الـتذمر أنت ! كان عليك أنت إذن أن تبقـيه مفـتوحا ، يا امـرأة لتأكلى من لحم جسـمك الحى ، كـبابا ! ولكن أين المفـر من النحس الذى جبلت عليه . أين المفر من نكدك الذى لا ينتهى . من الفجر للفجـر كنا نقف فى المحل ، نقف حتى تتورم منا السيقان والأقدام ولم نكن نكسب حتى الكفاف .

مــــــيـنـاه : أجل . حسنا . . كان الأجـدر بك إذن ألا تترك المحل وتذهب للجلوس فى المقهى . . .

فـــاسـيـلى : أسمـعى أذن . كفى عن تصديع رأسى بـحكاية المقهى هذه وإلا هشمت وجهك هيه ، فاهمة ؟

مـــــيـنـاه : لماذا أكف يافـاسيلى . سيـرتك على كل لسـان . الكوتشـينة والـــكوتشـينة . هـذا شـغلك الشـاغل ، ولاشئ غير ذلك !

فـــاسـيـلى : كُـفى عن هذه السـيرة ، يا امـرأة ! اخـرسى (يلوح يده ويصفع الهواء بكفه بينما تقف بعيدة عنه) .

مـــــيـنـاه : (تتمتم متذمرة) بالطبع ، تريدنى أن أخرس. لا يروق لك كلامى . اشتغلت على تاكسى وتركت العمل . رحت إلى سيـارات النقل فتشاجـرت . فتحنا مـحل الكباب ومن خيـبتك أغلقناه . خـسرنا نقـودنا وها نحن الآن فوق ذلك مدينون .وسوف يكون مصيرنا السجن ، فى النهاية .

فـــاسـيـلى : لن يسجنونى أنا ،بل أنت التى سوف تسجنين .

مـــــيـنـاه : اسكت . . اسكت . (تذهب إلى المنضدة . وتهم بأخذ قدحين للقهوة ، موضوعين عليها ، وكانت ميناه قد عمدت منذ برهة إلى تغطيتهما كى لا يراهما فاسيلى)

فـــاسـيـلى : دعى كل شئ فى مكانه .

مـــــيـنـاه : (منكمشة) كـى أرتب الحـجـرة قليـلا . وأصنع شـيئـا للغداء . .

مـــــيـنـاه : (تزحزح الصينية جانبا على المنضدة التى يجلس عليها فاسيلى)

فـــاسـيـلى : (ينظر إليها) هات وخد (يرفع الغطاء تشعر ميناه بالحرج . يتمتم فاسيلى متذمراً) تقسمين أنك لم ترى ولم تقابلى أحدا . هيه ؟

مـينـاه : دعك من هذا يافاسيلى !

فـاسـيـلى : لاشئ .. هيه ؟ ! لم تر شيئا .. هيه ؟ ياأيتها المتخلفة عقليا ، ماذا سبق لى أن قلت لك ؟ هيه ، لماذا أدخلت كاتينا مرة أخرى فى بيتك ؟ ماذا تقول لك هذه المرأة القذرة ، وتسلب به عقلك . هيه ؟ .. ماذا عادت تقول لك من جديد ؟

مـينـاه : اخفض صوتك ، يا فاسيلى ، لماذا تصيح هكذا ؟ إنها لاتقول شيئا سيئا ! إنها تحبك ، المسكينة . ! جاءت هنا دقيقة واحدة فحسب ،كى تتناول معى قدحاً من القهوة .

فـاسـيـلى : وهل كنت تريدين أن تشربا أكثر من قدح واحد ، ياملعونتين . أنت وهى ! ماشاء الله ! نحن نغرق ، وهذه النسوة لايعملن لشئ حسابا . يحتسين القهوة ، أقداحا تلو أقداح . ولا يكترثن بما نعانيه إطلاقا ..

مـينـاه : أيه . يافاسيلى يا أخى . كما تذهب أنت إلى سباق الخيل ، أقرأ أنا الفنجال ، ماذا فى هذا ، أليس هذا بدوره رزق ؟

فـاسـيـلى : أى رزق هذا ، أيتها المتخلفة . هراء وأكاذيب . الخيل فى السباق ترينها رؤى العين تجرى ، تثير حوافرها التراب ، يعلو الصياح والهتاف ، تنزل المراهنات ، وتتردد اللعنات من أفواه الخاسرين فى أرجاء الملعب !

مـينـاه : هيه ، هل تفضل لى إذن أن أدخل وأراهن فى سباق الخيل ؟

فاسيلى : يبدو أنك لست على مايرام . لم يبق إلا هذا الآن . أن تصبحى مقامرة ! أهذا ما تقوله لك صديقتك كاتينا ؟ . . هذه المرأة كفيلة بأن تتاجر بك دون أن تدرى أنت بذلك .

ميناه : يتجه فكرك إلى كل ما هو سئ فحسب ، كى تضيع وقتك . .

فاسيلى : أخشى أن تفعلا أموراً أخرى أيضا للتسلية وقطع الوقت . كفانا وجع دماغ اليوم ، وليذهب كل شئ إلى الشيطان . أعدى قدحا من القهوة .

ميناه : الآن . . . .

فاسيلى : (يشعل سيجارة) للتسلية - قال - وقطع الوقت ! ومن قال لك يا امرأة أن الوقت لا يفوت . هيه ، انظرى إلى ، أنظرى إلى وتذكرى صورتى كما كنت فى سالف الأيام ! تذكرى كيف كان فاسيلى وكيف كانت هيأته ! هيه ! من أجل التسلية وقتل الوقت ، هيه ! ومن أتحفك بهذه الصخام الذى لطخت به وجهك وتقولين عنه مكياج ، زينة ، هيه ؟ ألم تعدى القهوة بعد ؟

ميناه : هيه ، مهلك ، ياشيخ ! هل ترانى أعد لك قدحا من الماء ؟ تحتاج القهوة إلى إعداد . . لحظة واحدة . لماذا لم تحضر معك بعض الحلوى ، يا أخى ؟

فاسيلى : (دهشا) ستفقدينني عقلى ، يابنية ! من أين أحضر لك الحلوى يا امرأة ، ولماذا أحضرها لك ، دون مناسبة ؟

مـــــــيـنـاه : قد يحضر أحد . . .

فـــاســيـلى : ما الذى دهاك يا أيتها المرأة الغـامضة ؟ وماهذه الألغاز التى توحين بها ؟

مـــــــيـنـاه : ايه ، يا فاسيلى . هل نسيت فى أى الأيام نحن ؟

فـــاســيـلى : إننا فى يوم الأحد . ولكن لماذا هذا التلميح ؟

مـــــــيـنـاه : إنه يوم الأحـد . هذا صحيح . ولكـن أى أحد هو ؟ يمر اليـوم خمسة عـشر عامـا بالتمام والكمـال على زواجنا . . .

فـــاســيـلى : (يضحك لهذا الكلام) هيه ، يالها من نكتة ! هل أنت جادة فـيمـا تقـولين ؟ ألهـذا تثيـرين من حـولك كل هذا الغموض ؟ يالها مـن نكتة ، حقا ! (تحضر له ميناه القهوة) كم من الأعوام مضت ، تقولين ؟

مـــــــيـنـاه : خمسة عشر .

فـــاســيـلى : خمسة عشـر عامـا فى المستنقع القذر ذاتـه ! ياالله ما الذى يجعلك تتذكرينها ؟ وهل نحن ممن يتذكرون مثل هذه الأشياء ؟

مـــــــيـنـاه : (كطفل يوبخه أبوه) هذا ما جـعلنى أصلح من زينتى اليوم قليلا . .

فـــاســيـلى : وهل تعتقدين أنك أصلحت شـيئا من زينتك ، حقا ؟ أبهذه السهولة تتصلح السـحن ، ياميناه ؟ لوكان الأمر كذلك لأصلحت صديقتك فاسيلياذو من سحنتها . . .

مـــــــيـنـاه : (متذمرة بدلال) إيه ، مـاذا تريد أن يفعل من كـان على شاكلتنا . .

فـــاســيـلـى : كفى تذمرا وشكوى ، يا أمرأة !

مــــــيـنـاه : (بصوت اقرب إلى البكاء) كل لوم تلقيه عـلى ! تخسر فى سبق الخيل ، أدفع أنا ! لاتجد عملا ، الذنب يقع على أنا ! يســرقـونك فـى لعب الورق ، أتلقـى أنا منك الشتـائم ! وددت أن أموت كي استـريح . مللت هذه الحياة ! كل لوم تلقيه على . أنا الملومة على الدوام !

فـــاســيـلـى : وفيـمن تريدينني أن أنفجر بما بداخلى ، أيتـها المرأة ، هيه ؟ لمــاذا أذن تزوجتك ، لولم يكن بإمكانى ذلك ؟ خبرينـى لمــاذا أحملك على كتفى خـمسة عشـر عاما بأكملها ؟ألكى أنفجر فى الحائط ؟ كفانى وجع دماغ.

مـــــــيـنـاه : هيه ، وما ذنبى أنا ؟

فـــاســيـلـى : تسـألين مـاذنبك ؟ مــا ذنبك ؟ سـوف أقـول لك أنا ماذنبك ياشاطرة . الدنيا مـلآنة بالنساء ما الذى جعلنى اقع عليك أنت ، يا امـرأة ، أنت بالذات ، ولا أحـد غيرك ؟

مـــــــيـنـاه : هيـه ، أنـه حـدث وكـفى ، يا فـاسـيلى . حظ ، يا أخى !

فـــاســيـلـى : لعنة الله عليك . تسـمين هذا حظا ؟ تقـولين حظا . تصاريف الأيام القذرة هيـأت كل شئ على النحو الذى تسمينه حظا !

مـــــــيـنـاه : هل انفجرت أنا فيك أبدا ، أو القيت عليك همومى ؟

فـــاســيـلـى : وهل قلت لك أنا لا تنفجرى !

مـــــــينـاه : ولو حدث ذلك ، لو حدث أن أنفـجرت فيك ودلقت على رأسك همومى ، بما سأخرج من ذلك ؟

فـــاســيـلى : روث . روث . ولاشئ غير ذلك . ستكون مـحصلة ما ستـخرجين به روث . (يبحث عن علبة سجائره) فى أى داهية ذهبت سجائرى ؟ ماذا فعلت بها ؟

مـــــــينـاه : أنا ؟

فـــاســيـلى : أجل ، أنت . أم هل تقصدين أنا ؟ كانت السجائر هنا وكنت أدخن الآن .

مـــــــينـاه : هيه ، وأين وضعتها ؟

فـــاســيـلى : وهل كنت أبحث عنهـا لو أعـرف أين وضعـتهـا ؟ أم يخيل إليك أننى كنت سـوف أسـألك ؟ أبحثى عنها ! (تعكف ميناه على البحث . ، فتجدها وراءه على الأرض .. يجرع رشفة من القهوة .. يتوتر) سأموت . يا امرأة ستقتلينتى ، يا امرأة ! كلمـا طلـبت منك قـدحا من القـهـوة « بن ثقـيل ، مضبـوط » تصنعينها أنت كمـا يعن لعقلك المفلوت أن يصنعهـا ، أية قهوة والسـلام . عليك اللعنة ربيت لى وجع الدماغ . لا أسـتطيع يا امرأة أن أشـربها « سكر زيادة » . أتفهـمين ؟ شفـتاى ، ولسانـى ، وعقلى ، وكل شئ فى يضحى لزجا . فاهمة ؟

مـــــــينـاه : ايه،يا فاسيلى ، ياشيخ ، أليـست هذه قهوتك المعتادة ؟ ألا أصنعها لك دائما هكذا ؟

فـــاســيـلى : أذهبى إلى الشـيطـان يا امـرأة . وليـخـطفك الجـن الأحمر . إعطنى سجائرى .

مــــــيـنـاه : (تمسك بها ، فتعطيها له) خذها (تجمع بعض الأشياء المتفرقة) على الدوام ، نحن الذين ندفع . كل الأوجاع من نصيبنا نحن . هذا المال الملعون سيفترس حياتنا ! جاء ذلك الرجل بشأن الثلاجة مرة أخرى ، اليوم . .

فـــاسـيـلى : أيجئ يوم الأحد ، هذا المأفون . وماذا كان يريد ؟

مــــــيـنـاه : كان يريد نقوداً . أم ماذا تعتقد أنه كان يريد ؟ نحن مدينون له بنصف ثمن الثلاجة .

فـــاسـيـلى : وما العيب فى أننا مدينون ؟ آلا يستدين هو ؟ ومن الذى لا يستدين ، خبرينى ! المجتمع بأسره يتحرك على سندات وشيكات غير محصلة . تشاهدينهم سادة ، يجلسون فى سياراتهم الفخمة ، ينحنون لهم بالتحية وجيوبهم عامرة بالصفقات ! اليوم ، قابلت فى المقهى السائق الذى يشبه وجهه وجه الكلاب ، والذى كنا نعمل معا على عربة النقل ، كانت بحوزته كومة من الشيكات المستحقة الدفع بعد سنة . . .

مــــــيـنـاه : وماذا فى هذا ؟

فـــاسـيـلى : وماذا فى هذا ؟ جاء علّه يجد مرابيا ، يشتريها منه بالخصم حتى يستطيع هو بدوره أن يدفع أقساط الثلاجة . أفهمت ؟ المال يقتنيه الرعاع ، أما نحن فلا نتقاضى أوراقا مالية ، بل أوراقا للمرحاض .

مــــــيـنـاه : وهل وجد ؟

فـــاسـيـلى : وكيف يجد ؟ ! أتظنين المرابين على هذا القدر من السذاجة ؟ هؤلاء إن دفعوا فلقاء أوراق مضمونة فى السوق ، وليس لقاء أية أوراق .

ميناه : وماذا سيفعل هذا المسكين ؟

فاسيلى : وهل أعرف أنا ؟ . إما أن يدخل السجن ، وإما أن يدور على البنوك عله يجد بنكا مفلسا يرضى أن يقرضه ليجرى هو بدوره وراءه من جديد .. وجع دماغ ، ولاشى غير ذلك . ولهذا ، إذا جاء هذا الرجل وعاد يطلب باقى ثمن الثلاجة .. قولى له فليأخذها وليتربع عليها. وجع دماغ .. لا نريد بالمرة ! نحن المطاردون ، بطبيعة الحال . ومن غيرنا سيطارد هؤلاء الثعالب الشرسة ؟ السجون ملآنة بأمثالنا ، انا ، وميتشو، وجيكا وكوستا . أما الآخرون فهم قراميط .. فهمت ؟ أنهم مثل ثعابين الماء تنزلق من قبضة من يحاول إمساكها ، وتفلت ...

ميناه : ألا تقوم بجولة إلى النقابة ؟

فاسيلى : علام أذهب إليها ، يا امرأة . ماذا أفعل هناك. نقابة ؟ هيه ! .. لاجدوى ولانفع يعود منها ...

ميناه : هيه ، كيف تقول ذلك . أنت لاتعرف ، ماذا يمكن فى بعض الأحيان أن يعود علينا منها .

فاسيلى : فى بعض الاحيان . هذا هو مربط الفرس . ننتظر الفرج من حيث لا يأتى ! أجل ، من يدرى قد يحدث ماوضعت أملك فيه ، فنجد عملا يملأنا طربا ، ونهتف قائلين « أمانة يازمان طوّل » ولكن متى يحدث ذلك ، على الدوام النقابة تطالب ، وتطالب ، وتطالب . مطالب النقابة لاتنتهى ، أما عطاؤها فيكاد يكون معدما .. !

مـــــــيـنـــاه : هيا ، شئ ما سيحدث ، وسوف تفرج .
فـــاســيـلـى : متى ؟ أربعين عاما ، أستيـقظ مع تباشير الفجر الأولى كل صبـاح ! منذ طفولتى على الرصـيف . فى الثامنة من عـمرى أنقل حـديدا ، فى العـاشرة رفـعت على كتفى أطنانا من الصناديق الثقيلة ، فى العشرين قادتنى قدماى إلى سوق الخـضار ، وفى الثلاثين انكفأت على عجلة القيادة ، ورديات مـسائية تلو ورديات ، وها أنا فى الأربعين عاطل أتضور جوعـا ! متى إذن سيحدث هذا الشئ الذى تقـولين أنه ربما يحـدث ؟ مـتى ؟ ثم فتحنا مـحل الكباب كى نكون سادة أنفـسنا وأصحاب عمل ، ولا يتحكم فـينا أحد من أولاد الكلاب . وإذا بالدنيا تنطبق على الأرض ، ولكأنه صـدر أمر سلطانى بألا تأكلوا أيهـا الناس الكباب والكفـته ، بألا تقـربوا ياجميع الناس محال الكباب والـكفته ! كما لوكنا نبيع للناس روثا وليس أفضل أنـواع اللحم المفروم ، ولكن ربما كـان هذا هو السـبب فى الكسـاد الذى حط على مـحلنا ، هل رأيت صـاحب المحل الآخـر ماذا كـان يفعل؟ ماذا كان يبيع لـزبائنه ؟ يـقال أنـه كـان يشوى على السيخ قـراقيش واحشاء فـاسدة. ومـاذا لقى بعد ذلك ؟ ألقوا به فى الـسجن ثمانيـة أشهر فـحسب . . أواه ، يا أيها المجتمع الداعر ! ثمـانية أشهر فحسب ! أما أنا فقـد ألقوا بى فيما هو أسـوأ من السجن أربعين عاما . هو ثمانية أشهر يؤديها وبعد ذلك ، هوب يفتح

جناحيه ويطير. عصفور حر طليق من جديد.. وغدا ، عملية قذره أخرى ، وبعد غد أخرى وأخرى ! أما نحن فلا شئ نفعل! لم نقدر حتى على عملية واحدة! ولا حتى عملية واحدة ! حشونا شطائرنا بأجود أصناف اللحم المفروم،أتفهمين ؟ مثل أبى ،إبان أبان الاحتلال الكل كان يبيع ردة ونشارة طباشير على أنه دقيق فى السوق السوداء . أما أبى العجوز ، الذى كان فرانا ممتازا فكان لا يبيع إلا دقيقا أبيض ، وبرخص التراب ! برخص التراب ! حتى أن تجار السوق السوداء كانوا يقفون طوابير أمام بيتنا . ثم كانوا بعد ذلك يبيعون جرام الدقيق كما لو كانوا يبيعون ذهبا ! وأنت تقولين اليوم عيد ، عيد زواجنا السعيد ! وتقولين أنك أصلحت من زينتك ! وتقولين إن هذه الخمسة عشر عاما مضت كما كمضت غيرها من السنين !

مـيـنـاه : هيافاسيلى ، إهدأ ولا تحزن !...

فـاسـيـلى : إهدا يافاسيلى ! هيه ؟ ! فاسيلى أنتهى . دب فيه عطن الفقر ، وأكله الصدأ ! يا أيتها الثروة ، اللعينة ، أين أنت ! ولمن تذهبين !

مـيـنـاه : هل أقول لك شيئا ولا تغضب ولا تضربنى ؟

فـاسـيـلى : هات ما عندك ، يا امرأة !

مـيـنـاه : اليوم ، قرأت لى كاتينيتا الفنجال . ورأت فيه مالا قادما ..

فـاسـيـلى : هيه ، حسنا ، وكيف رأت هذا المال ؟ يعنى من أين ؟

مــــــيـنــاه : هيه ، إنها راته ، فحسب . . .
فـــاســيـلى : مال خالص ، أم مال من عمل .
مــــــيـنــاه : من عمل طبعا !
فـــاســيـلى : بالله عليك ياأيتها المرأة ، دعينى من سخافاتك القذرة هذه . المـال الذى يأتى من عـمل فى فناجيل القـهوة يظهر فحسب ، وسرعان ما يـتبخر ، ولا حتى رائحته تدركين ! لوكان هذا المـال ثـروة حقيقـية ، ثروة تأتى من حيث لا تدرى ، لشاطـرتك الاهتمـام . أجل ، ولكن . . هذه الدريخمات الهزيلة التى تأتى من العمل اليومى ، كلا . أنا لا أكترث بها . ولا أريد أن أعيرها اهتماما . كـلا . . تعالى هنا . وقولى لى أنت ، بالله هل تذكرين شكل الورقة فئة المـائة ؟ هل تذكرين شكل الورقة فـئة الخمـسمائة ، ومالـون ورقة البنكنوت هذه بالضبط ؟ ولا أسالك بالطبع عن لون الورقة فئة الألف لأن هذه الورقة ستظهر فى الفنجال بنية اللون . .
مــــــيـنــاه : وما أدرانى أنا بكل هذا . أقـول لك فحسب ما قـالته لى صديقتى . .
فـــاســيـلى : (يلوح بقبضته مشيرا إليها) تعرفين مـا هو مكتوب هنا ، على قبضة يدى ؟
مــــــيـنــاه : ولكن . . .
فـــاســيـلى : كفـى الكلام عن هذه المرأة القذرة . وألا هشـمت لك وجهك . ولا تفتحى فمك بعد الآن بكلمة عن القهوة أو عن المقهى ، أو عن لعبى الورق ، إلى آخره ، إلى آخره ، أتفهمين . . . ؟

مــــينـاه : هيه ، أمرك ، يافاسيلى . . .

فـــاسـيـلى : وماذا بإمكانى أن أفعل ، أيتها المرأة ، غير أن العب الورق . هيه ؟ لماذا يفتحون المقاهى ، فى نظرك ، هيه ؟ أنهم يفتحونها من أجلنا ، نحن العاطلون . مثلما ينشئون السجون . فى السجون إما نحن وإما فى المقاهى . أفهمت ؟ الأنذال ، هيه ، الأنذال ! أهذا يوم أحد ، هذا الذى نقضيه . خبرينى ! وسوف يكون غدا الاثنين ، وعلى أن أعود إلى التجوال فى الشوارع باحثا عن عمل ، عن قوت قومى . .

مــــينـاه : هون عليك . قلت لك ماذا يجب أن يتم ، ولكنك لاتتركنى إن افعل ذلك .

فـــاسـيـلى : ماذا قلت لى ؟ وماذا تقصدين ؟

مــــينـاه : هيه . أعنى . . قلت لك أن أبحث أنا أيضاً عن عمل . . وسأجد . .

فـــاسـيـلى : لا أريد أن أسمع مثل هذا الكلام . . .

مــــينـاه : بالله ، لاتغضب يافاسيلى ! ولماذا لا أخرج للعمل . سوف يكون هذا أمرا طيبا . سوف أفعل أنا دورى شيئا . سأخرج قليلا واتحدث مع الأخريات .

فـــاسـيـلى : اسكتى يا أمرأة ! زوجتى أنا لن تخرج للعمل . أفهمت ؟ لن أعرضها لمعاكسات الرجال ! وهذه المتزرة التى تريدينها لا أريد أن أراها عليك . وإلامزقتها ومزقتك أربا أربا . . هل تسمعين ؟

مــــينـاه : لماذا ، يا رجل . الا تعجبك ؟

فاسيلى : وهل تعجبك أنت ؟ هل يعجبك أن ينتصب ردفاك ، ويكونا نهباً لأنظار الصعاليك ، وتمتد إليهما الأصابع بالمعاكسات فى الأوتوبيسات ، هيه ؟ أهذا ما تقوله لك صديقتك العزيزة كاتيناكى ، هيه ؟ ! .

مسيناه : دعك الآن من مثل هذا الكلام . . .

فاسيلى : اخرسى ! (يصفع الهواء أمام وجهها) .

مسيناه : (تحتاط لنفسها وتحتمى منه) أمرك ، يارجلى ، أمرك ! هراء (ينفجر غيظا . ويشعل سيجارة) لم أنقلب أمرأة بعد ، حتى أتقبل كلاما مثل كلامك هذا . اتفهمين ! لم تلدنى أمى ، لعنه الله عليها ، أمرأة حتى يلقى كلامك هذا عندى قبولا ! وفرى أذن على نفسك هذه السخافات التى لا يرتضيها إلا من كان غير ذى ملة أو دين .

مسيناه : حسنا ، حسنا . . .

فاسيلى : آواه يا مسكينة . لعنة الله على الذل والاذلاء . لابد أن يحدث شئ . لابد أن أفكر فى شئ . لو اشتغلت أجيرا لمت قبل أوانى . الأجر عن العمل ، أى عمل ، لايقيم الأود . . . !

مسيناه : أتريد أن أسأل عما إذا كانوا يريدون سواقا ! هل أقول لكاتينا ذلك ؟

فاسيلى : اغربى عن وجهى ! سواق ، سواق ! دعك من وجع الدماغ هذا ! تلك أعمال خاملة ! لن أذهب إلى أى عمل من هذه الأعمال الرخمة . هل تفهمين ؟ سأظل

هنا حتى أجد صفقة ، خبطة ، هبرة كبيرة . سأعصر ذهنى ، حتى أجد الحيلة الظريفة ، الحيلة الضخمة ! ألا يقدم الجميع على مثل هذه الخبطات . ألا يفعل الجميع ذلك ؟ ألا يفعل كل من هم خارج السجون ذلك ؟ وأنا أيضاً سأفعل ذلك ! أيضا ! أن تكون خبطة أو لا تكون ! صفقات ، هبرات هذا ما يريد الجميع ! لحوم فاسدة يريدون ! سأخرج الموتى من قبورهم وأبيع لحمهم على أنه لحم ضأن معتبر . أكلات مفضلة ، وأسعار مرتفعة . هذا هو الحصان الرابح في السباق. وجدت الورقة الرابحة ! لن أكون أول من يبيع الرمم . يريدون أساليب من شيكاغو فليكن ، سوف نقلد شيكاغو ونقلد عصاباتها ! يريدوننا على المقاهى؟ هيا فلنجلس أذن على المقاهى . وجدت أنا الورقة الرابحة ! خلاص !

مـيـنـاه : فاسيلى ! سيزجون بك فى غياهب السجون !

فـاسـيـلى : (يهجم عليها) إخرسى ، أيتها الفاجرة ، إخرسى . أقطعى لسانك ، يا امرأة . تريدين الاحتفال بالمناسبة السعيدة ، عيد زواجنا السعيد ؟ تريدين حلوى، هيه ؟ دعك من وجع الدماغ هذا ! خلاص ! إنتهى ! ولتذهبى إلى الشيطان ، أيتها القذرة . إغربى عن وجهى ! إغربى . . .

ستار